

إحياء علوم الدين

عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض و الحب و الإعراض و الإقبال و الصحة و القطيعة و سائر الأفعال الصادرة منه . فإن قلت كل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الإسلام فأقول تحبه لإسلامه و تبغضه لمعصيته و تكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما و تلك التفرقة حب للإسلام و قضاء لحقه و قدر الجناية على حق الله و الطاعة له كالجناية على حقك و الطاعة لك .

فمن وافقك على غرض و خالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض و الاسترسال و بين الإقبال و الأعراض و بين التودد إليه و التوحش عنه و لا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك و لا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك .

ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية و تارة إلى طرف المجاملة و الإكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى و يعصيه و يتعرض لرضاه مرة و لسخطه أخرى . فإن قلت فيماذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته و محادثته مرة و بالاستخفاف و التغليب في القول أخرى . و أما في الفعل فبقطع السعي في إعادته مرة و بالسعي في إساءته و إفساده مآربه أخرى . و بعض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات الفسق و المعصية الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها و لا يصر عليها فالأولى فيه الستر و الإغماض .

أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة و صحة و أخوة فله حكم آخر و سيأتي وفيه خلاف بين العلماء و أما إذا لم تتأكد أخوة و صحة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الإعراض و التباعد عنه و قلة الالتفات إليه و إما في الاستخفاف و تغليب القول عليه .

وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلط المعصية و خفتها وكذلك في الفعل أيضا رتبتان إحداها قطع المعونة و الرفق و النصرة عنه وهو اقل الدرجات و الأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية .

أما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر و قد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها

لكان مغبوطا بها بالمال و الجمال و الجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث و تحريض عليه فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه و مقصوده و قدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه .

أما الإعانة فلو تركتها إظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك و يقبل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حفيك أو حق من يتعلق بك .

وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم و السعة إلى قوله تعالى ألا تحبون أن يغفر الله لكم إذ تكلم مسطح بن أثاثة في واقعة الإفك // حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى نزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة // .

فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح و آية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ و إطالة اللسان في مثل عائشة B ها إلا أن الصديق B كان كالمجنبي عليه في نفسه بتلك الواقعة و العفو عن ظلم و الإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين .

وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن إحسانك إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم